سارق الاحتمالات

رواية



رضا الحكيم الشعيري

رضا الحكيم الشعيري

سارق الاحتمالات

رواية

سارق الاحتمالات

رضا الحكيم الشعيري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف © 2026

الفهرس

القسم الأول

الأول — شيكات بني مكادة 7

الثاني — ساعة القنصل 19

الثالث — غرفة دافئة في يناير 32

الرابع — الجرد 46

الخامس — فنجانان 58

السادس — واحد في الألف 71

السابع — مكالمة التاسعة 84

القسم الثاني

الثامن — ملف جاهز 98

التاسع — غبار على الصندوق 110

العاشر — امرأة بلا اسم 121

الحادي عشر — الميناء 133

الثاني عشر — ما لم آخذه 144

الثالث عشر — جرس لم يُفتح له 155

الرابع عشر — ما حفظته الصورة 166

الفهرس — تتمة

القسم الثالث

الخامس عشر — ما محاه الوقت 178

السادس عشر — الرقم الذي عاد 188

السابع عشر — الصوت وما لا يقوله 198

الثامن عشر — من يعرف الطريق 209

التاسع عشر — اسم في خانة 218

العشرون — ما لا يقوله الأخضر 229

الحادي والعشرون — ما يصل متأخرًا 238

القسم الرابع

الثاني والعشرون — الرجل الذي عاد 257

الثالث والعشرون — قبل وصولها 271

الرابع والعشرون — الساعة الثانية 286

الخامس والعشرون — ما تركته في الخزنة 302

السادس والعشرون — الأسماء أولًا 316

السابع والعشرون — الغرفة التي كانت دافئة 331

الثامن والعشرون — مكان لمن يعود 351

سارق الاحتمالات

القسم الأول



الفصل الأول

شيكات بني مكادة

طنجة، الجمعة 9 يناير 2026

عاد الحارس قبل أن يبرد الشاي.

رأى إدريس السراج البخار يتصاعد من الكأس الموضوع على حافة مكتب المحاسب، وسمع المفتاح يدور في الباب الخارجي. كان قد حسب أن أمامه وقتًا يكفي لقراءة الأسماء مرة ثانية. الآن صار عليه أن يختار بين إكمال القراءة ومواجهة رجل لا يعرف عنه إلا أنه يقضي استراحته في المقهى المقابل، ويترك نصف قطعة سكر في صحنه.

حفظ نصف قطعة السكر، وفاته ما قد يعيد الرجل إلى عمله. خطا إلى الممر، والظرف البني تحت معطفه، فوجد الحارس يقف أمامه حاملاً خبزتين وعلبة دواء. كان أكبر مما بدا من النافذة، بلحية خفيفة لم يُحسن حلاقتها، وعينين حمراوين من السهر. توقفت عيناه عند باب المكتب المفتوح خلف إدريس.

قال: «أين السي عبد الجليل؟»

كان صوت الرجل متعبًا، خاليًا من الارتياب في اللحظة الأولى. رفع إدريس يده عن زر معطفه، كأنه تراجع عن إغلاقه بسبب دفء الممر، وأجاب بأن عبد الجليل خرج، وأنه ينتظره منذ بعض الوقت.

أعاد الحارس النظر إلى المكتب. خلا الطابق إلا منهما. من الطابق السفلي وصل صوت عجلة حديدية تُسحب على الأرض، يعقبه ارتطام باب ورشة. أصوات عرفها إدريس خلال الأيام الماضية، وحفظ

الفواصل بينها، حتى ُخّيل إليه أنه يعرف المكان. لكنه لم يحفظ ما يفعله رجل يعود من استراحة ناقصة وفي يده دواء.

«لم يقل لي إن أحًدا سيأتي.»

أخرج إدريس هاتفه، وأبقى شاشته معتمة تحت إصبعه. كان يستمع إلى تنفس الحارس، ويرى كيف أغلق البابٍ الخارجي خلفه من غير أن يقفله. الطريق إلى الخارج ما زال مفتوحا. يستطيع أن يمر إلى جانب الرجل بخطوتين، وربما ينجح في الإفلات قبل أن تستقر الشبهة في رأسه. غير أن الهرب سيمنح الحارس حكاية يرويها، وسيمنح عبد الجليل شخصا يعاقبه.

وضع الهاتف في جيبه.

«قد يكون نسي. اتفقنا على تسوية ورق، ولم ننتِه منها.»

ترك للحارس أن يختار له صفة الدائن أو المدين. شعر بضيق قديم من سهولة العثور على جملة يتسع جوفها لأكثر من حقيقة. في عمله السابق كان يعرف رجالًا يحصلون على أجور جيدة مقابل هذه المهارة وحدها.

حّرك الحارس علبة الدواء من يد إلى أخرى، وأشار إلى كرسي قرب النافذة.

«انتظره هنا. المكتب لا يدخل إليه أحد في غيابه.»

جلس إدريس. اختار الحارس كرسًيا مقابًلا، ووضع الخبز على ركبتيه. لم يعد الطريق مفتوحا بالمعنى الذي احتاج إليه. صار عليه أن ينتظر عودة صاحب المكتب أو أن يحمل هذا الرجل على تركه يذهب.

على الجدار ساعة مستديرة تتأخر عن هاتفه بأربع دقائق. دّون الفرق يوم دخل المكتب أول مرة في هيئة زبون، وترك الرقم في هامش ملاحظاته. كان عبد الجليل قد قال يومها، وهو ينظر إلى ساعته اليدوية، إنه يعود عادة عند السادسة. حدق إدريس في العقرب الطويل: السادسة إلا خمس دقائق. كاد يطمئن إلى أن أمامه بعض الوقت، قبل أن يستعيد الفرق ويفتح شاشة هاتفه. بقيت دقيقة على السادسة. رفع رأسه إلى الحارس؛ صار الوقت الذي يستطيع أن يقضيه في المجاملة أقصر مما أوحى به الجدار.

سأل إدريس: «هل أرجعك المطر؟»

هز الرجل رأسه نحو علبة الدواء. «نسيت هذه. وبعد أن أخذتها وجدت صاحب المقهى يغلق. زوجته تعبت، أو شيء من هذا.»

الدواء أعاده إلى المكتب، وإغلاق المقهى أبقاه فيه. بحث إدريس في ذاكرته عن شيء كان يستطيع أن يراه في الأيام السابقة، فعاد إليه المشهد نفسه: رجل يجلس إلى الطاولة نفسها، ويغيب المدة نفسها تقريبًا. كان قد سّمى احتمال عودته المبكرة ضعيفًا. الآن جلس الاحتمال قبالته، وانتهت فائدة الكلمة.

قال إدريس: «شفاها الله.»

أومأ الرجل من غير أن ينظر إليه. مد يده إلى الكأس، ولمس الزجاج، وسأل: «هل شربت منه؟»

«لا.»

«جيد. نسيت كم وضعت فيه من السكر.»

ابتسم إدريس، لكن الرجل كان جادًا. أخرج شريطًا من العلبة، فصل منه حبة، وابتلعها بقليل من الشاي. كان يرتدي معطفًا صوفيًا فوق زي رمادي فقد لونه عند المرفقين. قرب ياقة المعطف خيط

أبيض أطول من اللازم، يتأرجح كلما انحنى. فكر إدريس في تنبيهه إليه، ثم استغرب الفكرة. في الداخل، على بعد أمتار، كانت الخزنة مفتوحة، وداخل معطفه سبعة شيكات ليست له. لم يكن هذا وقت إصلاح ملابس الناس.

قبل نصف ساعة كان يعتقد أن هذه أسهل عمليات الشتاء.

راقب استراحة الحارس في أربعة أيام، وسجل وقت خروجه وعودته على هاتف واحد. تفاوتت المدد؛ لذلك بنى حسابه على أقصرها، واقتطع منها هامشًا للانسحاب. في اليوم الثالث وصل طلب الشاي متأخرًا، فبقي الرجل أكثر. وفي الرابع أسرع في مشيه تحت المطر، لكنه جلس في المقهى كعادته. بدت الاختلافات محصورة في دقائق يستطيع احتواءها.

ترك في جدول ملاحظاته خانة للعودة قبل الموعد، وظلت خالية. كان يعرف أن أربعة أيام لا تكفي لتقدير احتمال نادر، ويعرف أيضًا أن الخانة الخالية لا تعني الصفر. مع ذلك، حين اختار ساعة الدخول، اتكأ على ذلك الفراغ. راقب ما يحدث داخل الاستراحة، وبنى قراره كأن الاستراحة نفسها مضمونة.

دخل مع حركة المغادرين، وفي يده ملف أوراق يشبه ما يحمله زبائن المكتب. وحين خلا الممر، تغير إيقاعه. أخفى الملف داخل معطفه، وأخرج حافظة أدوات صغيرة. أمام الخزنة توقف عند مقاومة خفيفة، وسحب يده بدل أن يزيد الضغط. تفحص الحافة تحت ضوء مائل؛ خدش حديث هناك كان سيبقى بعده أطول من أي أثر آخر. أعاد المحاولة بصبر حتى استجاب الباب. أخذت منه اللحظة الأخيرة أكثر مما سمح به تقديره، لكنه فضلها على استعجال يفسد المعدن.

كان يستطيع أن يأخذ الظرف كله ويخرج. الذي أبقاه أمام الرف هو الأسماء.

جاءته الحكاية أول مرة على لسان بنعيسى، الذي روى أن عبد الجليل يقرض أصحاب الدكاكين والعمال مالًا، ويحتفظ بأوراقهم حتى بعد أن يستوفي ما يطلبه. اختبر إدريس الحكاية عند أصحابها. قابل رجلًا سدد أقساطا بقيت في حساب الدائن ناقصة دائما، وامرأة تحمل دفترا صغيرا تسجل فيه المبالغ والتواريخ بخط متردد. وتحدث إلى ثالث قال له منذ البداية إنه ما زال مدينا بجزء من المال.

أعجبه الثالث أكثر من الآخرين، وعاد في تلك الليلة فشطب من ملاحظاته كلمة «صادق». كتب مكانها: «أقر بما لا يخدمه. يحتاج إلى تحقق.» كان يعرف أن الاعتراف بخطأ صغير قد يجعل الكلام اللاحق أسهل قبولًا. ومع ذلك ظل الرجل أقرب إلى قلبه.

استبعد ورقته من العملية. الدين المختلف عليه يحتاج إلى حكم يتجاوز ما يملكه من أوراق. بقيت سبعة أسماء، تتساند روايات أصحابها بإيصالات ورسائل ومبالغ يستطيع تتبعها. سبعة، بعدما كانوا أحد عشر. بقي شيء يقلقه، لكنه بلغ الحد الذي اعتاد أن يسميه كافيا.

وجد الشيكات في ظرف كبير مع أوراق أخرى. صور محتوياتها قبل أن يمسها، وفرز الأسماء التي جاء من أجلها. في الرف الأسفل رزم نقدية لا تحتاج إلى قراءة ولا إلى مراجعة تواريخ. تركها، وأعاد إلى الظرف الكبير كل ورقة لم تكن على قائمته. بقي شيك باسم رجل لم يحضر إحدى المقابلات. عرف إدريس الاسم، لكنه لم يأخذه. المعرفة ليست إذنا.

عندئذ انفتح الباب الخارجي، وعاد الحارس قبل أن يتمكن إدريس من إغلاق الخزنة.

قال الرجل فجأة: «هل المسألة كبيرة؟»

نظر إليه إدريس. كانت عيناه على المعطف، لا على وجهه. أدخل إدريس طرف الظرف البارز إلى الداخل بحركة بطيئة، لا تخفي أنه يحمل أوراقًا.

«تعني ماذا؟»

«الورق الذي تتحدث عنه. الناس يأتون إلى هنا غاضبين، ثم يخرجون أهدأ. لا أعرف إن كانوا يرتاحون أو يتعبون أكثر.»

قال إدريس: «وأنت، هل تسأله؟»

«أسأله عمّا يخص عملي.»

كانت إجابة نهائية مهذبة. أمال الرجل رأسه إلى الخلف وأغلق عينيه لحظة. في يده ندبة قديمة تصل بين أصل الإبهام والمعصم. راوده سؤال عن سببها، فضاق بنفسه. أخذ يجمع تفاصيل تجعل الرجل أبعد فأبعد عن العائق الذي رسمه في حساباته.

اهتز هاتف الحارس. قرأ الرسالة، ونهض دفعة واحدة ووضع الخبز على الكرسي. قال إن عبد الجليل عاد إلى الحي وسيصل بعد قليل، وإن على إدريس أن ينتظر. عندئذٍ أدرك إدريس أن الانتظار لم يعد حيلة صالحة. كان يملك وقتًا قصيرًا لتصحيح ما أفسده، ولن يخرج بشروطه كلها.

نهض، فاستقام الحارس في مواجهته.

«سأترك له رسالة، ثم أمضي. ستعرفه الرسالة بما جئت من أجله.»

«اتصل به.»

«الكتابة أوضح في هذه المسألة.»